

جامعة مولاي إسماعيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مسلك الجغرافيا

السداسي الثاني

وحدة: جغرافية المدن (الجغرافية الحضرية)

ذ. الحرشاوي نور الدين

الموسم الجامعي 2019-2020

المحور الثاني : نشأة المدينة و تطورها

1- نشأة المدينة

يرجع تاريخ المدينة الى بضعة الاف من السنين مرت خلاله بمراحل تطور لعل أخطرها المرحلة التي تمر بها في الوقت الحاضر. وقد سبق ظهور المدينة ثورة في انتاج الغذاء كان من نتائجها الحصول على فائض سمح بإطعام أفراد من المجتمع اشتغل معظمهم بأعمال أخرى غير الزراعة و انتاج الطعام.

أما سكان المدينة فانقطعوا للتفكير والتأمل والإبداع والتنظيم فأوجدوا الكتابة وشرعوا قوانين المعاملة ووضعوا أصول الفن والصناعة. وبدأت قصة المدينة بتجميع هؤلاء الأفراد في مكان محدد يسهل وصول الغذاء اليه بكميات كافية ويسمح بمباشرة أمور الادارة والحكم بطريقة مرضية. فجمعت المدينة في داخلها الكثير من الوظائف التي كانت مبعثرة وغير منظمة. وقد شيد سور يطوق المدينة ودور العبادة وموارد المياه والسوق. ونتج عن كل ذلك زيادة في عدد السكان وتجمعهم. وتميزت مبانيها عن مباني التجمعات السكنية القروية.

2- مراحل تطور المدينة

نشأت المدينة المبكرة في البيئات الفيضية، في أودية الرافدين بالعراق وواد الأردن ووادي النيل والهوانجهو في الصين، وفي أمريكا الوسطى والجنوبية وفلسطين ثم عرفت تطورا كبيرا على مر العصور.

2.1- المدن المصرية : ارتبطت المدن المصرية القديمة بالدين الذي يمكن اعتباره أساس التمييز بين المدينة والقرية. وكان وجود الهة محلية للقطاعات عاملا هاما في نشأة المدن الاقليمية بمعابدها. تكونت المدينة من عدد من المباني والاكواخ المصنوعة من الطين وعمل سكانها بالزراعة والري.

2.2- المدن العراقية: قامت في بلاد ما بين النهرين ثلاث مجموعات من المدن: في الجنوب المدن السومرية ثم البابلية وفي الشمال المدن الاشورية وفي الوسط بابل وكيش وأكاد. وتكونت المدن من ثلاثة أجزاء:

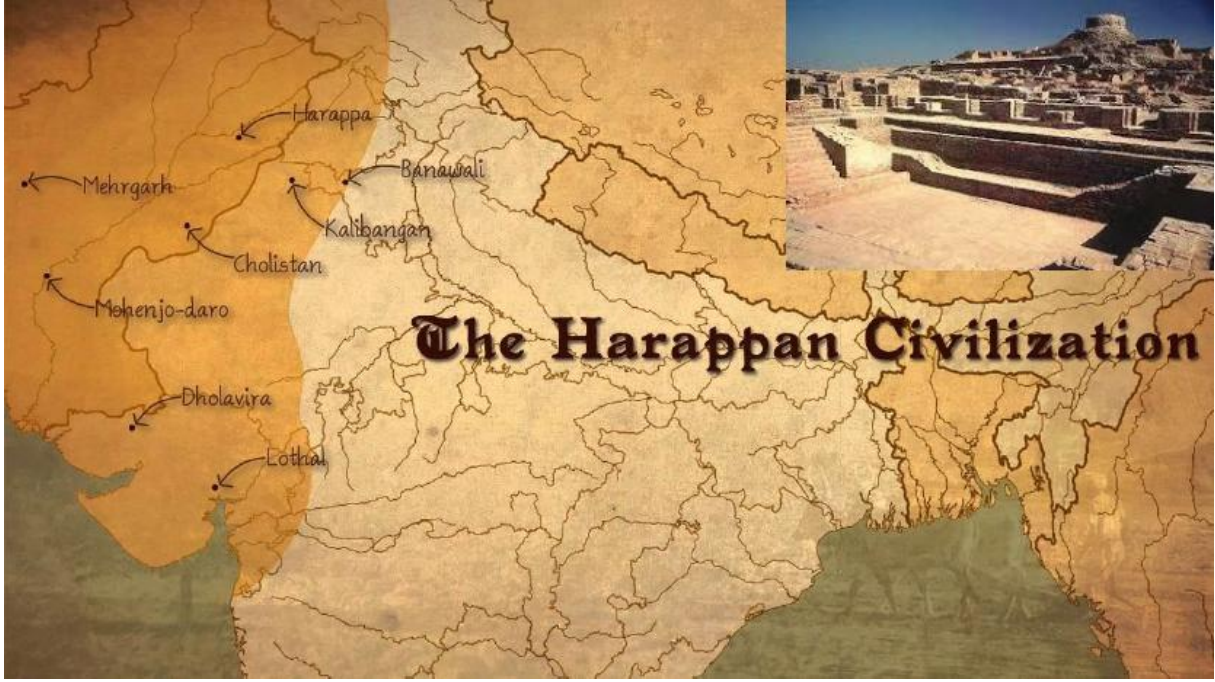
✓ **المدينة الداخلية:** كانت تضم مقر الحاكم ومعابد الهة المدينة ثم المساكن الخاصة. أما الشوارع فكانت صغيرة وضيقة وذات نهايات مقلعة. وقسمت المدينة الى أحياء ولكل حي بوابة خاصة ويحيط بها سور.

✓ **المدينة الخارجية (الضاحية):** تكونت من الحقول وحدائق النخيل وبعض المساكن وحظائر الماشية.

✓ **الثغر:** وكان مركزا للنشاط التجاري البري ويحضى باستقلال اداري ومركز قانوني خاص. وكان معظم ما يجلبه التجار موجهة لخدمة الحاكم والقصر والمعبد لأن معظم التجارة من الاحجار الثمينة والتوابل والاعطور والأخشاب.

2.3- المدن الهندية : حيث قامت مدينتا هاربا HARAPPA و MOHANJO DARO . وهما ترجعان للألف الثالث ق.م. امتدت لمسافة 5 كلم ويقع في غربها حصن محاط بسور ضخم من الطين والقرميد وفي جنوب المدينة تقع المساكن وفي الشمال يوجد رحايا مستديرة لطحن الحبوب وصوامع للغلال.

الصورة رقم 1: مدينة هارابا HARAPPA



2.4- المدن الصينية : نشأت في حوض نهر الهوانغ في الالف الثاني ق.م. وكانت معظم المدن ذات وظائف ادارية ودينية وتجارية حيث كان يتم تجميع الغلال وإعادة توزيعها ومن أبرز معالم المدن الصينية وجود الأسوار و الحصون.

الصورة رقم 2 : المدن الصينية القديمة



2.5- المدن الرومانية : اتخذت شكل المستطيل أو المربع. ويقطعها طريقان رئيسيان ومتعامدان وتتقاطع معهما الشوارع الفرعية. وعند تقاطع الطريقين الرئيسيين يوجد المنتدى forum حيث توجد المعابد والأسواق ومراكز الحكم والادارة. كما تضمنت المدن الرومانية الحمام والمسرح الدائري. و أشهر المدن الرمانية مدينة روما التي تقع جنوب نهر التيبر الصالح للملاحة.

الصورة رقم 3 : مدينة روما عاصمة الامبراطورية الرومانية



2.6- المدن اليونانية : وأهمها أثينا التي كانت مقسمة الى ثلاثة أقسام : الأكروبوليس أي المدينة الأصلية والمدينة العليا والميناء. أما الجمعية أو مكان الاجتماع (AGORA) فاكتسب مكانة هامة في تلك المدن ثم تحول الى سوق فيما بعد. وكانت المنطقة السكنية ذات شوارع غير معبدة وضيقة و متعرجة ومتشابكة لمنع العدو من اختراقها. كما افتقدت الحدائق والوسائل الصحية كانت ناذرة مما سهل انتشار الامراض.

الصورة رقم 4: مدينة أثينا اليونانية



2.7- مدن أمريكا الوسطى والجنوبية: أقامت جماعات الأزتك والمايا والأنكا مدنا ذات طابع حضاري متميز والتي ترجع الى الألف الثاني والألف الأول ق.م. وقد قامت في وادي مكسيكو حيث مارس فيه السكان أنشطة تجارية. ومن خصائص هذه المدن أن مبانيها متناثرة ضمن رقعة مساحية كبيرة تختلط فيها المدن والقرى.

2.8- المدينة الإسلامية العربية:

كانت الشريعة الإسلامية تحكم وتنظم حياة الناس في المدن العربية ومن أبرز معالمها المساجد. والحصون الدفاعية، وكثيرا ما قامت المدن كمعسكرات وقلاع، واتخذت صفة حربية حيث كانت الفتوحات من أوليات المسلمين. إلا أن هذه المعسكرات تحولت بعد ذلك إلى مدن مثل الكوفة والبصرة والفسطاط.

الصورة رقم 5: مسجد القيروان بتونس



امتازت أسواق المدن العربية بالتخصص، حيث تتجاور فيها الحرف والأنشطة المتجانسة، وتتبادل الأنشطة والصناعات المتنافرة، فبعدت حوانيت الخبازين والطباخين عن دكاكين العطارين وأدى المناخ في معظم المدن العربية والإسلامية إلى وجود أسقف لحماية البضائع والمشتريين من الحرارة، كما امتازت الشوارع بضيقها حتى تحمي المارة من أشعة الشمس الحارقة.

يتألف التخطيط التنظيمي للمدينة الإسلامية من: المرید وهو أكبر شوارع المدينة، ويصل إلى 32م، ويرتبط بشوارع صغيرة وأزقة والميدان الرئيس وتوجد فيه مرابط الخيل والمقابر. ويتوسط المدينة مسجد جامع، وتتضمن هندسة المباني منطقة مكشوفة في وسط المنزل وهي الصحن أو الحديقة، وتطل على الصحن غرف المنزل الداخلية. وكان الصحن مصدرا للضوء والهواء لحجرات المنزل الداخلية.

الصورة رقم 6: الفناء الداخلي لمنازل المدن العربية الاسلامية



ومن الضروري أن تتخذ المدينة العربية موضعا تكون فهي حاكمة للطرق وملتقى لها (برا وبحرا) مثلا الكوفة والبصرة على خط تلاقي شط العرب برأس الخليج العربي، ويقوم المحتسب بمراقبة الشوارع ومراقبة قيامها بوظيفتها كطرق يسلكها الناس، وكان يأمر بمنع شغل الطريق وبإزالة مخلفات الشتاء.

وسكان المدن العربية هم الجنود ورجال الإدارة والعلماء والتجار وأرباب الحرف، والعاملون بالزراعة. وإلى جانبهم كانت هناك فئات سكانية انتقلت إلى المدن طمعا بفرض حياة أفضل.

الصورة رقم 7: مدينة فاس نموذج المدن العربية الاسلامية



2.9- المدينة الأوروبية:

بعدها سقطت بقايا الدولة الرومانية في العصور الوسطى أصبح الكثير من المدن مجرد أطلال ومأوى للرهبان وفي القرن الحادي عشر بدأت المدن تظهر من جديد نتيجة لظهور التجارة وتحديدًا التجار المتجولين الذين يعبرون القارة كلها ويوفر لهم النبلاء الحماية لأنهم يوفرون لهم حاجاتهم من سلع كمالية لقصورهم التي سكنوها، كما ظهرت المعارض والأسواق الدولية التي كان التجار ينتقلون فيها من مكان إلى آخر. وبدأ سكان المدن يحكمون أنفسهم حكما ذاتيا وبموجب مراسيم خاصة وديساتير، حين أخذت المسيحية بالانتشار في أوروبا ونتج عن ذلك إنشاء الأسقفيات وبناء الكنائس والكاتدرائيات، وإنشاء النقابات للتجار والصناعيين. واتخذت من المدن مقرا لها.

في القرن السابع عشر تم إمداد المياه إلى المنازل عن طريق أنابيب ولكن أوجه النظافة والأحوال الصحية كانت متخلفة.

في عصر النهضة قوي نفوذ الدول الأوروبية واهتمت الرأسمالية بتطوير المدن القائمة لتكون مراكز للإدارة ولرؤوس الأموال، فازداد عدد سكان المدن. وبدأت المدن بالتخصص الوظيفي، كما بدأ الاهتمام بالشوارع في داخل المدن، فتم توسيعها والعمل على استقامتها، وبدأت الدكاكين والأسواق في المدينة، ثم ظهرت الواجهات الزجاجية والدكاكين المتخصصة في نوع محدد من السلع كالأقمشة والأحذية. وأدى ذلك إلى بدء ظاهرة الرحلة اليومية للعمل، خاصة حين اتسعت المدن وبدأت السيارات تكثُر في شوارعها، وبدأ المجال الأخضر يصبح ضرورة في المدن.

2.10- المدن في العصر الحديث :

بالرغم أن من قيام العاصمة "مدن العواصم" في العهود القديمة وفي عصر النهضة الأوروبية أدى إلى ظهور مدن كبيرة، إلا أن التغيرات التقنية والاقتصادية التي نجمت عن الثورة الصناعية أدت إلى انقلاب في أحجام المدن، وفي نسبة السكان الذين يعيشون بها على مستوى الدول والعالم.

يمكن إرجاع النمو الحضري الضخم في العالم في العصر الحديث إلى عدة عوامل ولكن أهمها على الإطلاق عاملان هما:

✓ الثورة الزراعية وتوفير الغذاء:

كان للثورة الزراعية التي شهدتها العالم في العصر الحديث دور كبير في نمو المدن وتضخمها، وقد حدثت هذه الثورة في غرب أوروبا قبل أن تشهد الانقلاب الصناعي والتجاري، وقد تمثلت الثورة الزراعية في استخدام السماد واتباع الدورة الزراعية وإدخال أنواع جديدة من المحاصيل واستعمال البذور المنتقاة وتحسين أنواع الماشية بتربية السلالات الجيدة واستخدام بعض الآلات المستحدثة.

وقد أدى هذا التطور الزراعي الكبير إلى ازدياد الأرض دون الاستعانة بمزيد من الأيدي العاملة في الوقت الذي كان عدد السكان يزداد باستمرار، وأدى ذلك إلى البحث عن أعمال أخرى غير الزراعة طالما أنها توفر الغذاء للجميع ودون نقص في الموارد الغذائية، واتجه

جزء كبير من السكان لسكنى المدن وانصرافهم عن العمل في الأرض الزراعية. وقد واكب هذا التطور في الزراعة في غرب أوروبا اتساع مساحات الأراضي الزراعية في العالم بعد الخروج الأوروبي الكبير إلى أراضي العالم الجديد وأستراليا ونيوزلندة وجنوب أفريقيا.

وقد أدى ذلك كله -كما سبق القول- إلى فائض زراعي وفير بدأ بدوره يكون أساس هاماً للتجارة والتبادل، التي اعتمدت هي الأخرى على تقدم وسائل النقل البحري والبري والتقدم في وسائل حفظ الطعام "بالتبريد" واستطاعت السفن أن تنقل الغلات الزراعية والمنتجات الحيوانية إلى غربي أوروبا وجهات أخرى من العالم.

وقد أدت هذه الزيادة الضخمة في إنتاج الغذاء وإمكان نقل الفائض منه إلى المناطق البعيدة إلى زيادة في عدد السكان الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، مما أدى بدوره إلى تزايد أحجام المدن تزايداً كبيراً حيث أدى استخدام الآلة في الزراعة إلى جعل أعداد كبيرة من العمال الزراعيين يتجهون نحو المدن بحثاً عن فرص العمل.

✓ الثورة الصناعية:

لم تكن الثورة الزراعية وحدها مسؤولة عن زيادة عدد سكان المدن بل أدى الانقلاب الصناعي وظهور الآلة البخارية إلى تركيز السكان في المدن، وساعد على ذلك توطن الصناعة فيها حيث أصبحت مراكز جذب قوي لسكان الريف حيث الأجور العالية وفرص العمل المتوفرة وقد أدى ذلك إلى تزايد سكان المدن على حساب الريف، بل وأصبح ذلك سمة بارزة من سمات هذا العصر ليس في الأقطار المتقدمة وحدها بل وفي الدول النامية كذلك، وقد ساعد على ذلك شرايين النقل بين المدن والريف وخاصة خطوط السكك الحديدية التي أدت إلى نشر الصناعة وتقدمها ومن ثم تحسن الأحوال الاقتصادية وتزايد عدد السكان في الريف والحضر وإن كانت المدن قد شهدت معدلات نمو عالية أكثر من الريف. وقد أدت كل هذه العوامل إلى نمو مدني هائل في العالم، حتى إن مدن العالم الغربي قد نمت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمعدل أسرع من أي وقت مضى وكان ذلك التوسع ملحوظاً بدرجة أكبر في الولايات المتحدة، وهنا أنشئت شبكة من السكك الحديدية

في شرق البلاد في الأربعينات من القرن الماضي، وانتشرت باقي المراكز العمرانية بمعدل أسرع بعد ذلك في أمريكا الشمالية وخاصة على السواحل وعلى الأنهار الملاحية وعلى ضفاف البحيرات العظمى وفي المناطق الداخلية.

وتتعدد الأمثلة على النمو الحضري الكبير في دول العالم مثلما يبدو في المدن الأوروبية فقد تضاعف عدد سكان الحضر في إنجلترا في الفترة من 1871 - 1911 من 14 إلى 28 مليون نسمة، وفي نفس الفترة ارتفع سكان المدن في فرنسا من 11 مليوناً إلى 17.5 مليون نسمة، فمدينة باريس مثلاً بلغ عدد سكانها 518.000 نسمة في عهد نابليون الأول، ولكن بعد ذلك بخمسين عاماً فقط تعدت المليون نسمة وذلك في سنة 1860 ثم وصلت إلى 6.7 مليون نسمة سنة 1950 ثم إلى 7.8 مليون نسمة سنة 1960. وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين قد شهدا توسعاً ضخماً في العمران الحضري، ويمكن الاستنتاج مباشرة أن جذور هذا التوسع الكبير ترجع إلى عدة عوامل أبرزها استيعاب نسبة المهاجرين الذين لفظتهم المناطق الريفية. وتعد المدن المليونية نماذج مجسدة للنمو الحضري، وأرجح الظن أن العالم لم يعرفها إلا منذ سنة 1800 وذلك لأنها تعد طفرة حضارية في تاريخ البشرية ففي أوائل القرن التاسع عشر لم يكن بالعالم إلا مدينة مليونية واحدة وتزايد عددها حتى وصل إلى 11 مدينة في سنة 1900 ثم إلى 50 مدينة في سنة 1950 ثم قفر هذا العدد ليصل إلى 100 مدينة مليونية في سنة 1970 ومن جملة هذا العدد هناك 64 مدينة يربو حجم كل منها على مليوني نسمة. وتتميز غالبية دول العالم النامي بالنمو السريع في جملة سكانها خلال القرن العشرين وبأن معدل تزايد السكان الحضريين بها كبير بدرجة تفوق معدل النمو في الدول المتقدمة، وتتكرر هذه الظاهرة في كثير من الدول النامية، ففي البرازيل تزايدت المدن فئة 100.000 نسمة فأكثر من 6 مدن إلى 31 مدينة فيما بين سنتي 1920 - 1960 وارتفعت نسبة سكان هذه المدن من 8.7% إلى 18.6% من جملة السكان في الدولة في هذين التاريخين على التوالي.

وتتفاوت دول العالم في توزيع نسبة سكان المدن بها ويرجع ذلك إلى اختلاف أقاليم العالم

في الأخذ بأسباب الحضارة واختلاف مقومات الحضارة ذاتها، فتسود الحضارة الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية بينما تسود الحضارة الزراعية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وبصفة عامة فإن الحياة المدنية تظهر في كل قطر بدرجات متفاوتة وإن كانت الدول الصناعية تحظى بالنسبة العالية أكثر من 70%، بينما تقل النسبة عن ذلك كثيرا في الأقطار الزراعية النامية.

الصورة رقم 8: مدينة نيويورك نموذج للمدينة الحديثة



أصبح نمو المدينة يتم عموديا وأفقيا ولم يعد المنزل المكون من طابق واحد أو طابقين هو القاعدة المنتشرة، وظهرت ناطحات السحاب في كثير من المدن. وإلى جانبها أنفاق تحت السطح يوجد فيها قطارات كهربائية سريعة Les METROS دون أن تعترضها عوائق النقل السطحي من تقاطع وإشارات، وظهرت أيضا موصلات معلقة لتسريع حركة النقل داخل المدن الكبرى. وهذا أدى بدوره إلى نمو الضواحي حول المدن.

الصورة رقم 9: مترو الانفاق بمدينة باريس



لقد أدت صعوبة الوصول إلى مركز المدينة إلى التفكير في نقل بعض الوظائف من قلب المدينة إلى أطرافها وكانت من أوائل الأنشطة التي انتقلت إلى أطراف المدن الأنشطة الصناعية لانخفاض أئمة العقار وسهولة نقل المواد الخام وحماية وسط المدينة من التلوث الناجم عن الصناعة من نفايات وأدخنة وروائح غير صحية.